سامراء .. إحدى عواصم الدولة العباسية (دوافع الانتقال اليها. تخطيطها وبناؤها)

أ.د. مها أسعد عبد الحميد طه
الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ
maha20160770@gmail.com

الملخص :
أفصح البحث عناية خلفاء بني العباس الأوائل في تخطيط المدن وتوزيع الإقطاعات، ومنها بناء سامراء، بدءاً من مؤسسها الخليفة المعتصم ومَنْ تعاقَبَ بعده من الخلفاء، فاهتموا بالمواصفات الدقيقة في إنشاء الشوارع والأزقة بشكلٍ لا يسيء الى أية شريحة من طبقات المجتمع العباسي المتنوعة، مع الاهتمام بتزويق المدينة وساحاتها ومتنزهاتها وحسْن زخرفة أبنيتها وعمائرها، حتى أضحت سامراء تحكي جماليات النمط الإسلامي في تشييد المدن وبناء الأمصار... وأصبحت سامراء مثالاً يُحتذى بها في تأسيس المدن وتشييد الحواضر الجديدة ، فقد جمعت في بوتقة مواصفاتها جميع مزايا حواضر بني العباس السابقة، جمعاً دقيقاً يُفصحُ ما وصل اليه مهندسو ذلك العصر من حذقٍ وتطورٍ، وقد مثّلَ ذلك أصالةً في التخطيطِ والبناءِ والعمارة 0
الكلمات الافتتاحية: البناء,الزخرفة, العمارة, قصر المعتصم.

Abstract
The research spoke about the care of the early successors of the Banu Abbas in planning cities and distributing sectors, including the construction of Samarra, starting with its founder Al-Mu'tasim and those successive caliphs after him, they paid attention to the exact specifications in the construction of streets and alleys in a way that does not offend any segment of the various classes of Abbasid society, with the interest in decorating the city, its squares, parks and the good decoration of its buildings, until Samarra became a reminder of the aesthetics of the Islamic style in the building and the construction of the cities…. Samarra became an instance to be followed in establishing cities

and building new civilizations , it combined in its characteristics all the advantages of the previous cities of Banu Abbas, an accurate collection that disclosed the development of the engineers of that era, and this represented its originality in planning, construction and architecture.
Key words: building, the decoration, architecture, Al-Mu'tasim Palace

المقدمة

تُعَدُّ موضوعة (مسببات بناء مراكز الخلافة العباسية في عصرها الأول 132-232هـ/749-847 م)، اختيار موضعها، تخطيطها، بناؤها فالانتقال اليها من الظواهر التاريخية المهمة التي يتطلب على الباحثين الوقوف عليها، وقد كانت هناك الكثير من الأسباب والدوافع سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها حفّزت هذا الخليفة أو ذاك في الانتقال من هذا المركز إلى تلك، ومنها سامراء، اورع حواضر الدنيا في العمارة والزخرفة، وأجملها في البناء والبهاء يومذاك0

أهمية البحث : التعريف بالحاضرة الجديدة للدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول، سامراء...

مشكلة البحث : الوقوف على الملابسات والظروف الحقيقية لترك الخليفة المعتصم حاضرة آبائه وأجداده، بغداد، ليؤسس حاضرة جديدة لدولته الشاسعة .

هيكلية البحث: سيقسّم هذا البحث، بإذنه تعالى، على مبحثين، سيتناول أولهما الحديث عن مسببات ودوافع ترك الخليفة المعتصم بغداد ليؤسس حاضرة جديدة له والانتقال اليها بعد رحلة بحثه وتقصّيه في اختياره موضعها اختياراً ، فيما سيتحدث المبحث الثاني عن تخطيط وبناء سامراء لتكون آية في العمارة والبناء 0

بعض المصادر والمراجع التي سيعتمدها البحث : سيعتمد هذا البحث في إعداده على الله تعالى اولاً ومن ثم على الكثير من المصادر الأولية التي راحت تحكي ظروف التقصّي والإنتقال الى الحاضرة العباسية الجديدة سامراء ومنها (كتاب البلدان) لليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت292ه/905م)، وكتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310ه/922م)، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630ه/1233م) وغيرها0

أما المراجع الحديثة التي سيعتمدها هذا البحث فستزيد من متانة البحث وأهميته، ومنها كتاب (تخطيط المدن العربية الإسلامية) للأستاذ الدكتور طاهر مظفر العميد، وكتاب (ري سامراء) للدكتور أحمد سوسة، وكتاب (العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية) للأستاذ الدكتور مصطفى عباس الموسوي، وغيرها من المراجع الحديثة، فكانت جميعها مداداً ثراً لهذا البحث لا ينضب 0 **وآخر دعوانا أنْ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين**

التمهيد: تسميتها:

أثبتت المكتشفات الآثارية أنَّ موضع (سامراء) كان معروفاً في العصور التي سبقت العصر العباسي، قد استوطنه العراقيون القدماء منذ عصر ما قبل التاريخ ما يمتد إلى الألف السادس أو الخامس قبل الميلاد، وقد كان لهم نصيب من الحضارة أفصحت عنها التنقيبات الآثارية واكتشافاتها من أوانٍ فخارية ودمى الطين المشوي غريبة الصنع وكمية كبيرة من الحزوز المنقوشة والتي تتسم برقي اشكالها وتعدد ألوانها، وهو (عصر حلف) الذي تعود اليه مقبرة سامراء ، وهذا العصر يلي العصر الحجري الحديث [1] .

وتؤكد الروايات التاريخية أنّ كلمتي ((سامراء)) و ((سُرَّ مَنْ رأى)) استمرارية للتسميات القديمة للمدن التي أُقيمت في المنطقة المذكورة إذْ أنّ كلمة (سامراء) متحدِّرة من تسمية (سيمروم) التي تم تداولها في الألف الثاني قبل الميلاد، وبرفع حرف (الميم- أوم) وإضافة الألف والهمزة العربية تصبح (سيمراء) أي (سامراء) وأمّا (سُرَّ مَنْ رأى) فإن نصوص الألف الأول قبل الميلاد سواء كانت مسمارية أم آرامية فإنها ذكرت لنا اسم المدينة (سرمراته) وبرفع النهاية (آته) التي سادت خلال التاريخ المذكور وإضافة الألف والهمزة العربية يصبح الاسم (سرمراء) أي (سُرَّ مَنْ رأى)، ويبدو أنَّ الخليفة المعتصم، أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد(218-227هـ/833-842 م) حينما أقام بها أمر أن تُسمّى (سُرَّ منْ رأى) وبهذه الصيغة وُجِدَ أسمها في النقود العباسية المضروبة فيها، وبهذا فإنّ (سامراء) و (سُرَّ مَنْ رأى) تصبحان كلاهما تسميات عراقية قديمة [2] .

ويروي لنا ياقوت الحموي كذلك أنَّ سامراء كانت مدينة ((عتيقة من مدن الفرس تُحَمل إليها الاتاوة التي كانت موظفةً لملك الفرس على ملك الروم، ودليل ذلك قائم في اسم المدينة لأنّ (سا) اسم الاتاوة، و (مُرّة) اسم العدد، والمعنى مكان قبض عدد جزية الروم)) [3] .

المبحث الأول : أسباب تأسيس المعتصم حاضرته الجديدة سامراء ودوافع اختياره موضعها

المطلب الأول : مسببات تأسيس الخليفة المعتصم حاضرة جديدة له

قيل في مسببات بناء مدينة سامراء والانتقال اليها أنه ومنذ بداية استخلاف المعتصم عمل على زيادة استخدام الجند التركي في الجيش وذلك لأن والدته السيدة (ماردة) تركية الأصل، لذا كان في طباعه كثير من طباع هؤلاء الأتراك من القوة والشجاعة والاعتداد بالنفس، فربما دعته العصبية التركية الى التفكير في استخدام العنصر التركي[4]، وهؤلاء الجند كانوا في الواقع إضافة جديدة للجيش ظهرت خلال مدة خلافة المعتصم لما اتصفوا به من شدة البأس[5] ، فقد خصّهم المعتصم بالنفوذ بتقليدهم قيادة الجيش وجعل لهم مراكز في السياسة والحرب معاً فيما حَرَمَ العنصر العربي، تقريباً، فيما كان لهم من قيادة الجيوش، كما أسقط أسماءهم من الدواوين، لذا علا شأن هؤلاء الأتراك، متمتعين بالهبات والأرزاق فاستأثروا على العرب والفرس معاً في كل شيء[6] ، ذلك لأنه فيما يبدو أنَّ المعتصم قد خاف من الأبناء، أي أبناء أهل خراسان، ويُسَمونَ أبناء أهل الدعوة أيضاً، ويُسمون كذلك بأنصار الدولة أو الشيعة العباسية، الذين قُدِّر

عددهم يومذاك بخمسين ألف مقاتل ما بين فارسٍ وراجل، وهؤلاء قد لعبوا دوراً في النزاع بين الأمين والمأمون إذْ ازدادت قوتهم وأخذت آراؤهم السياسية والاجتماعية تنتشر بالتدريج في كل مكان من الدولة زيادة على انتشار الأفكار المجوسية والبابكية والبهائية والمقنعية وغير ذلك والتي ظهرت بوجوه مختلفةٍ منذ مقتل أبي مسلم الخراساني[7] ، ونتيجة لمجيئ هؤلاء الترك وتسجيلهم في الديوان حدث التصادم والصراع بين هاتين الكتلتين، وقد عبّر المعتصم عن مخاوفه من هذا التصادم فأشار ابن الأثير الى هذا قائلاً: ((وفي هذه السنة 220ه/835م خرج المعتصم الى سامراء لبنائها، وكان سبب ذلك أنه قال: لإني أتخوف هؤلاء الحربية أن يصيحوا صيحةً فيقتلوا غلماني، فأريد أن أكونَ فوقهم، فإن رابني منهم شيئ أتيتهم في البر والماء حتى آتي عليهم))[8] وقيل إنَّ سبب انتقاله أن أولئك الأتراك من الذين استجلبهم الخليفة المعتصم من جهات متنوعة ولا سيما من أهل بلاد ما وراء النهر[9] ((من سمرقند وأشروسِنَّة وفرغانة))[10]، وفرقاً من الخَزَر[11] ، والسند ليؤلِّفَ بهم جيشه الجديد كانوا أصلاً مسؤولين عن المشاكل والمتاعب لذا كان يُقتَل منهم الواحد تلو الآخر فيذكر المؤرخون بأنَّ ((أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب فيصدمون الناس يميناً وشمالاً فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدراً لا يعدون على مَنْ فعل ذلك فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد))[12].

وعليه فالعامل الرئيسي لانتقال المعتصم من بغداد إلى سامراء هو معاملة الجند الأتراك السيئة لسكان بغداد، إذْ داخَلَهم الغرور وارتكبوا كثيراً من أعمال الفحش والعسف حتى أنهم كثيراً ما آذوا السكان وداسوا بخيولهم في الأسواق والطرقات[13] ، مما أثار غضب العامة وحنقهم، يروي الطبري أنَّ أحد المسنين خاطب الخليفة المعتصم بقوله:((يا أبا إسحاق... فقال للشيخ ما لكَ؟ قال لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج – يعني حمير الوحش- فاسكنتهم بين أظهرنا فأيتمتَ بهم صبياننا وأرملتَ نسواننا وقتلتَ بهم رجالنا)) [14] .

وبدأ الجنود الأتراك يتذمرون أيضاً، فكان المعتصم في موقف دقيق وحرج إذْ لم يكن في استطاعته معاقبة حرسه الخاص ولا شعبه ، ولم يكنْ هذا السخط على الجنود الأتراك محصوراً بين السكان المدنيين، بل أنّ عدْواه انتقلت إلى الجنود القدامى كذلك إلى درجة بأنْ خشي المعتصم أنْ تعصفَ به وبجنده ثورة عارمة [15] .

من كل ذلك نستخلص أن الخليفة المعتصم كان يخشى الفتنة وثورة أهل بغداد وبعض العساكر بها لسخطهم على تقريب الأتراك مما كان ذلك عاملاً مهماً بالانتقال من بغداد وإنشاء حاضرته الجديدة سامراء [16] .

المطلب الثاني : دوافع اختيار المعتصم موضع سامراء ونزوله بها

تَرَكَ المعتصم بغداد- حاضرة آباؤه وأجداده- باحثاً عن مركز جديد ينتقل إليه، فكان أولها (القاطول)[17] ، إذْ نزل بقصر الرشيد، موضع من مواضع سامراء الآن، وذلك في سنة (220هـ/835م)[18] **(ابن كثير، البداية2009م،** ج3، ص2125)، والقاطول اسم نهر كان مقطوع من دجلة، كان في موضع سامراء قبل أن تعمّر، وكان الخليفة

الرشيد (170-193هـ/787-809م) أول مَنْ احتفر هذا النهر، وبنى على فوّهته قصراً وسمّاه (أبا الجند) لكثرة ما كان يسقي من الأرضين وجعله لأرزاق جنده، وقد بنى المعتصم على موضع القاطول بناءً ودفعه الى أحد قوّاده الأتراك[19] ، ثم تركه ، فيورد اليعقوبي الخبر مفصلاً يقول:((خرج المعتصم إلى القاطول في النصف الثاني من ذي القعدة سنة (220هـ/835م) فاختط موضع المدينة التي بناها واقطع الناس المقاطع وجدَّ في البناء حتى بنى الناس القصور والدور وقامت الأسواق ثم ارتحل من القاطول))[20].

أسباب عدم قناعة المعتصم بموضع القاطول :

يذكر المسعودي بأنْ ارتحل الخليفة المعتصم من بغداد حتى وصل إلى منطقة (القاطول) في بداية فصل الشتاء ولكنه ظهر عدم ارتياحه بها فيقول: (ونالت مَنْ مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالبناء) [21] لذا فالقاطول لم يعجب المعتصم، لذلك لم يمكث هناك أكثر من ثلاثة أشهر، ويذكر اليعقوبي رأي الخليفة المعتصم في هذا الموضوع وهو أن (أرض القاطول غير طائلة وإنما هي حصا وأفهار والبناء بها صعب جداً وليس لأرضها سعة) [22] .

المعتصم يجدُّ في اختيار موضع عاصمته الجديدة :

ثم أخذ الخليفة المعتصم يتنقّل بين المواضع على أرض العراق، من موضع الى آخر وهو يستقرئ ملاءمتها لإنشاء عاصمته الجديدة حتى وصل الى موضع سامراء، فأسس عليه مدينةً عتيدة ، حاضرةٌ زاهرةٌ نافست بغداد لأكثرَ من نصف قرن في البهاء والرقي والعمارة، وهي تبعد ستين ميلاً شمالي بغداد [23] .

ويسترسل اليعقوبي بعد ذلك عن قناعة المعتصم عند وصوله إلى الموضع الجديد (سامراء) واستبشاره به، يقول:((ركب- المعتصم- متصيّداً فمرَّ في مسيره حتى صار إلى موضع سُرّ من رأى، صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة فيها ولا أنيس إلاّ دير للنصارى فوقف بالدير وكلّم مَنْ فيه من رهبان. وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سرَّ من رأى وأنه كان مدينة سام بن نوح سُيَعَّمرُ بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلها ولده فقال أنا والله أبنيها وأنزلها وينزلها ولْدي)) [24].

وتشير بعض النصوص التاريخية إلى أنّ موضع سامراء كان يحتويه دير مسيحي، وأمر المعتصم أن تُشترى أرض ذلك الدير من أصحابه [25] **(ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 2010م، ج2، ص164؛ بلدان، ص56-57)** .

ويروي المسعودي كيف ارتاد المعتصم وأصحابه موضع سامراء وكيف تعلّق بها لطيب مناخها وجوده غذائها وما إلى ذلك يقول:((أقام في الموضع – على أرض سُرَّ من رأى- ثلاثة أيام يتصيّد في كل يوم فوجد نفسه تتوق إلى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم ذلك لتأثير الهواء والتربة فلمّا استطاب الموضع دعا أهل الدير واشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار)) [26] .

إختيار موضع سامراء:

وعليه فإنّ الخليفة المعتصم بالله الذي كان ينتقل من مكان إلى آخر مصحوباً بعدد كثيف من الجند والأتباع وعوائلهم مع العمال والبنّائين كان عليه، والحالة هذه ، أنْ يكونَ شديد الحرص على أنَّ ما سوف يختاره لابدّ أن يكون المكان الأكثر صلاحاً وملاءمة، وأولها أهمية موضعها، فكان موقع (سُرَّ من رأى) الذي يضعها في موقع ملائم للسيطرة على الأجزاء المختلفة لجميع نواحي الدولة العباسية، بالإضافة إلى ذلك فإنّ المياة كانت تحيط بالمدينة من جميع جهاتها، إذ يحدّها نهر دجلة من جانبها الغربي ابتداءً من أقصى موضعها شمالاً حتى حدودها الجنوبية زيادة على فروع الأنهر وروافدها، كلها كانت حصوناً طبيعية للعاصمة الجديدة [27] .

كما أنّ (النهروان) بفرعيه يحفُّ المدينةَ من جانبه الشرقي، وهكذا، فإنَّ كلاً من نهري دجلة والنهروان يهبان هذا الموقع أهمية عسكرية عظيمة، فهما يؤلفان سوراً طبيعياً يجعل حاضرة العباسيين الجديدة في موضع أمين، فضلاً عن أهميتهما في الري والزراعة والى جانب كل ما تقدم فإنَّ ارتفاع موضع (سامراء) قد منح المدينة حماية ضد خطر الفيضان [28] .

وقد منح اللهُ تعالى موقع سامراء المهم، في وسط العراق، المدينةَ الجديدةَ سهولة الاتصال بكل من الأقسام الشمالية والجنوبية من العراق، وكانت فائدته كبيرة جداً للأغراض السياسية والتجارية على حدٍ سواء [29] .

المبحث الثاني: تخطيط وبناء سامراء :

المطلب الأول : تخطيط المدينة

بعد أن اشترى الخليفة المعتصم أرض سامراء من مالكيها، بعد اختياره موضعها اختياراً، عزم على بنائها، وفي بنائها نلاحظ التأكيد على الأسوار أو على بناء مدينة محصّنة وذلك لثبوت أركان الدولة العباسية وتوطيدها، وكان التأكيد أيضاً على العمارة، فكتب المعتصم ((في إشخاص الفَعَلة والبنّائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات)) [30] . واهتم كذلك بأن تكون عاصمته الجديدة مجمعاً للصناعات المعروفة، فأقدم ((من كل بلد مَنْ يعمل عملاً من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة المياه ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض وحمل من مصر مَنْ يعمل القراطيس وغيرها، وحمل من البصرة مَنْ يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة مَنْ يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة)) [31] . الى جانب اعتناء الخليفة المعتصم بالله بالناحية التجارية، فوسّع ((صفوف الأسواق)) [32] .

ثم أمر بتخطيطها، وفي ذلك كان اهتمام المعتصم في فصل الجيش والدواوين عن السكان، وفي إنزال الأهلين في أحياءٍ خاصة على وفق مهنتهم، فأسكن كل صنف من جيشه في جهة حسب جنسياتهم، ثم وضع كل فرقة تحت قائدها وفي محلةٍ خاصة، وعموماً أمر أنْ تكونَ إقطاعات الأتراك بعيدةً عن الأسواق وعن الأقسام المزدحمة [33] . ثم أمر بتخطيط مسجدها الجامع والمعسكر والسوق سنة (221هـ/836م) وقد جعل((كل تجارة منفردة وكل قوم على حدتهم على مثل ما رُسمت عليه أسواق بغداد))

[34] ، فكان تقسيم المدينة تقسيماً اجتماعياً عسكرياً يتناسب وكونها معسكراً أولاً، ومركزاً حضرياً ثانياً [35].

ومن ثم بدأ بإقامة القصور والأبنية المهمة له ولجنده، ونزلها في السنة نفسها ، ولكن على وجه العموم لم تلقَ سامراء عناية الكتّاب والمؤرخين ما لقيت المدن العراقية الأخرى [36] على الرغم من أهميتها في مجال العمارة والزخرفة وتخطيط المدن العربية الإسلامية، ما عدا ما نقله الينا اليعقوبي [37]. وهو يؤرخ أسماء الشوارع الرئيسة والإقطاعات والأسواق، كالآتي :

1- الشارع المعروف (بالسريجة) وهو الشارع الأعظم ممتداً من المطيرة الى الوادي المعروف في ذلك الوقت بوادي إسحاق بن ابراهيم [38]، واتصلت به قطائع الناس بعد أنْ وُزعت لهم ، ومنهم قطائع كبار أمراء بني العباس وقوّادهم والقوّاد الخراسانيين، منتشرين يمينا ويسارا بهذا الشارع وفي دروبٍ متنوعة 0

2- والشارع الثاني ويُعرفُ (بأبي أحمد) وهو أحمد بن الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، أحد أمراء بني العباس، وتحيط بالشارع قطائع القواد العباسيين فضلاً عن الدار الشهيرة (بدار بختيشوع المتطبب)[39]، طبيب الخلفاء ، والتي بناها أبّان خلافة المتوكل على الله ، جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد (232-247ه/ 847-861م) 0

3- والشارع الثالث (شارع الحير الأول) وفيه قطائع (الجند الشاكرية) [40] وأخلاط الناس0

4- والشارع الرابع يُعرف بشارع (برغامش التركي) وهو أحد قادة الخليفة المعتصم المهمين، وفيه قطائع الأتراك وقطائع الفراغنة، كلٌّ منعزل في أزقته ودروبه عن الآخر، فدروب الأتراك في القِبْلة والفراغنة بازائهم بالدروب التي في ظهر القِبْلة، كلُّ درب بأزاء درب لا يخالطهم أحد من الناس، وفي آخر منازل الأتراك وقطائعهم أُقطِعت قطائع الجنود الخزر .

5- والشارع الخامس ويُعرف بشارع صالح العباسي، أحد أمراء بني العباس، ويُعرف أيضا (بشارع الاسكر) وفيه قطائع الأتراك والفراغنة أيضاً في دروب منفردة التي على رأس الوادي ويتصل ذاك بقطائع القوّاد والكتّاب والوجوه وعامة الناس 0

6- والشارع الذي على نهر دجلة يُسمى (شارع الخليج) جعله رصيفاً مرسى لسفن التجارة، السفن والتجارات ((التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد والبصرة والأبلّة [41] والأهواز وما يتصل بذلك ومن الموصل وبعربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك))[42] ، وفي هذا الشارع قطائع أغلب المغاربة، والمغاربة هؤلاء اصطنعهم الخليفة المعتصم ((قوماً من حوفي مصر، من حوف اليمن وحوف قيس فسمّاهم المغاربة)) [43] وقطائع وسائر الناس 0

وبينما بنى المعتصم مدينته على الجانب الشرقي لنهر دجلة، اهتم بزراعة القسم الغربي، فحفر الترع فيه ((وحمل اليه الغروس من كافة البلدان)) [44] وشجع قوّاده ورجاله على المساهمة في الزرع .

ثم أخذ اليعقوبي يشير الى قصور الخليفة المعتصم من غير أن يرشدنا الى تفاصيل تخطيطها وبنائها، إلّا إننا نستطيع أن نستقرئَ أنَّ المخطط الذي درج عليه المعتصم في بناء سامراء كان يختلف عن ذلك المخطط الذي اتُبِع في في المدن العراقية التي سبقتها مثل البصرة والكوفة وواسط والأنبار وبغداد ، وعموماً يُفصح لنا تخطيط مدينة سامراء ما يأتي :

أولاً : إن جامع المدينة الكبير كان يقع على الشارع الذي يُعرف (بالسريجة) وقد استمرت الصلاة فيه خلال عهد المعتصم وولده الخليفة الواثق (227-232ه/842-847م) ، وحينما جاء الخليفة المتوكل على الله هدمه كله وبنى جامعاً آخراً أكبر من سابقه لضيق الجامع الأول بالمصلين.

ثانياً : كانت الأسواق المختلفة تقع حول الجامع، ومرة أخرى قلّد المعتصم جَدّه الخليفة أبا جعفر المنصور (136-158ه/753-775م) جاعلاً أصحاب الحِرَف والبضاعات مجتمعين مع أصحاب التجارة المتشابهة في أماكنَ خاصةٍ، وبالإضافة الى هذا فإنه أمر أن تكونَ لكل قطيعةٍ سوقاً صغيراً من عدة مخازن تحتوي على السلع الضرورية 0

ثالثاً : أقطع الخليفة المعتصم القوّاد والكتّاب والموظفين وبقية الناس إقطاعات لكي يقيموا فيها مساكن لهم، تنفيذاً لفكرته في تعيين مناطق معزولة للجماعات المختلفة، وكان كل قسم منها مخصص للأفراد المتحدّرين في الأصل من أقاليم واحدة، وبالتالي فإنَّ هذه الأقسام كانت محاطة بمجموعاتٍ أخرى منحدرة أصلاً من أقاليم مجاورة [45] .

لقد أوْلى المعتصم اهتماماً خاصاً بجنده ، إذْ وضع نصب عينيه المشاكل آنفة الذكر والتي أُثيرَت في بغداد بين ساكنيها وجنده الأتراك، كما أوضح اليعقوبي هذه الفكرة بصورة جلية في روايةٍ له : ((وأفرد – المعتصم- قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً وجعلهم معزولين عنهم لا يختلطون بقوم... وأمر بضم أصحابه- يقصد جنده- ومنعهم من الاختلاط بالناس..)) [46] .

ويبدو إنَّ المعتصم في قراره هذا لا يزال يتذكر المشاكل التي أُثيرت في بغداد بين ساكنيها وجنده الأتراك، وزيادة على ذلك ((فإنه أمر بأن تكونَ الاقطاعات بعيدة عن الأسواق وعن الأقسام المزدحمة ، وكان يرغب أنْ تخططَ مساكنهم، أي الجند الأتراك، على شوارع واسعة وأزقة طويلة كي يوفرَ لهم الأجواء التي تلائم صفاتهم الطبيعية)) [47] .

وهذا يقودنا الى أن نستنتجَ أنَّ سامراء كانت مجزأةً الى أقسام سكنية متعددة، كل قسم منها أُقطِع (مُنح) الى قائد معين من أتباعه0 ولقد أُقيمت هذه التقسيمات على أساس الميزات القومية والأماكن الأصلية [48] .

رابعاً : وطبقاً للرواية التي قدمها اليعقوبي[49] فإنَّ المباني اتسعت جنوب سامراء حتى المطيرة[50] إذْ كانت مقاطعة مخصصة لقائد المعتصم وساعده الأيمن (أشناس) على بُعد فرسخين (عشرة كيلومترات) الى جنوب المدينة، وقد وصل اتساع المدينة شمالاً الى عشرة كيلومترات شمال مركز المدينة، وهكذا فإنَّ اتساع المباني المختلفة بلغت نحواً من عشرين كيلومتر 0

المطلب الثاني: قصور المدينة وعمائرها

تُعدُّ آثار القصور والعمائر الأكثر بقاياها شخوصا الى الوقت الحاضر والتي بناها الخليفة المعتصم على وجه التأكيد، أو تلك التي تُنسب اليه ما يأتي :

1- قصر المعتصم (بناية العامة)، ويُسمى أيضاً باسم الجوسق الخاقاني 0
2- بناية الحويصلات 0
3- معسكر الاصطبلات [51] 0

وسوف نختار الحديث عن قصر المعتصم (قصر العامة) بشيء من التفصيل لكونه الأكثر أهمية.

قصر المعتصم :

تُعد آثار هذ القصر أكثر البقايا التاريخية شخوصاً للعمارة المدنية التاريخية لسامراء، كان دار الخليفة يقع، كما يروى اليعقوبي، على شارع السريجة [52] ، وكما أشار المؤرخون بأنه قد أُقيم على أرض تعود الى دير مسيحي اشتراه المعتصم من أصحابه [53] ، ويبلغ الطول الكلي للقصر حوالي (700) متر وعرض الجهة الأمامية الرئيسية التي تطل على نهر دجلة حوالي (200) متر ويغطي مساحة من الأرض مقدارها (210) ألف متر مربع [54]، وقد أظهرت نتائج التنقيبات الآثارية بأنَّ منطقة القصر كانت محاطة بسور يصل الى (175) هكتاراً من ضمنها (71) هكتاراً تشغلها حديقة تواجه مع شرفاتها وأقبيتها وأحواضها نهر دجلة [55] ، وأصبحت نتائج التنقيبات الآثارية تتجلى شيئاً فشيئاً ، فحينما ظهر مخطط القصر تبيّن بأنَّ تلك المجموعة المعقدة من المباني كان لها مدخل واحد فقط، وكان هذا المدخل في وسط جانبها الغربي حيث لم تزل بقاياه قائمة الى الوقت الحاضر وتُعرف (بباب العامة) وهو البناء الفخم الوحيد المتبقي من بيت الخليفة [56] ، كما أنَّ التنقيبات الآثارية التي قامت بها مديرية الآثار العراقية أرفدتنا بمعلومات مهمة عن قصر المعتصم (قصر العامة) فهي أماطت اللثام عن قسْمَيه الأوسط والجنوبي مع أقسامٍ أخرى منه، مثل قاعة العرش، وغرفة التشريفات، وغرف الحريم والحمام وما الى ذلك، كما عُثر على آثار كثيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة، غير إنَّ الناس استمروا على اقتلاع الآجر من جدران القصر لاستعمالها في أبنيتهم المختلفة، فأخذت بذلك بالزوال والتلاشي تدريجيا ولم يبقَ في الوقت الحاضر سوى الانقاض الكلسية [57] .

زخارف القصر ونقوشه ونافوراته :

كانت زخارف قصر الخليفة المعتصم ونقوشه عبارة عن زخارف جصّية بارزة، يؤكد ذلك ما عُثِرَ على بعض القطع الصغيرة سقطت من أماكنها الأصلية وهي ملقاةٌ

على الأرض وتحمل نماذجَ من صور مائية من النوع البسيط وهي عادة ما تكون على هيأة صف من الدوائر المرسومة باللونين الأحمر والأصفر، مثل ما شوهدت قطعة لصيقة بباطن العقد فوق فتحة القاعة الوسطى [58] .

وكانت جدران الغرف الرئيسة مزدانة مزخرفة الى ارتفاع أربعين إنجاً بحليةٍ جصّية بارزة [59] .

أما الإيوان الكبير والغرفتان المجاورتان له فكانوا متصفين بزخارف على شكل البيض بسلاسل صغيرة ذات أشكال نخيلية صغيرة تُحلّي جميع أطر البناء، أما داخل الإيوان فكان محلى بزخارف جصية ، كان بعضها لا يزال في موضعه في بداية القرن العشرين كما عثر عالم التنقيبات هرزفيلد عل ذلك [60] .

وكان باطن العقد الأمامي للإيوان الكبير كان محلى هو أيضاً بزخارفَ جصية مقسمةً الى قسم وسطي عريض يحف به قسمان أقل عرضاً منه، وعرض كل شريط من الشريطين الآخرَيْن (32 سم) يتألف من زخارف عبارة عن زوج من أغصان شجرة العنب ترتفع لولبياً لتكونَ صفاً مزدوجاً من الدوائر، كل صف يحتوي على وريقة من أوراق العنب، يفصل كل صف من صفوفها ثقوب تشبه العيون تحيط به حزوز يتميّز بها الطراز المعروف بطراز سامراء الثالث. والقسم الأوسط عرضه (95 سم) زخارفه عبارة عن ورقة عنب طويلة الساق . ولسوء الحظ فأنَّ قطع الزخارف المتبقية غير كافية لكي نستطيع أنْ نعرفَ كيف كانت تزخرف مراكز الوريدات والمساحات المحصورة بينها . وقد أعاد العالم هرزفيلد ترتيب بعض الزخارف في الإيوان الكبير من قطع الزخارف الجصية [61] .

أما زخارف غرفة العرش فقد عُثر على بقايا زخارف جصية في بواطن الأقواس، وقد حاول هرزفيلد أنْ يجمعَ بعضها الى البعض الآخر[62] ، وهنا من المفيد ان نؤكدَ أنَّ تلك البقايا التي وضعها هرزفيلد جنباً الى جنب في محاولةٍ منه لإعادة تصميمها لا تمثل شريطا ثلاثياً، وإنما هي ثلاثة امتدادات متفرقة للقطعة المستطيلة ذاتها، ومن قاعة العرش هذه نجد حشوة الباب الخشبية المهمة التي تشبه الى حدٍّ كبير حشوة الباب الخشبية لجامع السلطان أحمد ابن طولون في القاهرة . وبين أذرع التقاطع توجد ((قاعات أصغر لها أفاريز من بلاطات رخامية، وهناك أيضا غرفة لها افريز من الزخارف الجصية استُخدمت مسجدا للخليفة)) [63] .

أما إذا انتقلنا الى غرف الحريم فالجانبين الشرقي والغربي لها تشغلها غرف صغيرة للجلوس، جميعها مجهزة بأنابيب الماء، بعض هذه الأنابيب موصول بأنابيب رصاصية كبيرة، وبعض منها بأنابيب زجاجية زرقاء، والبعض الآخر بأنابيب فخارية خشبية، وهناك أيضاً غرف للغسيل ودورات للمياه وجميعها مصممة على وفق أفضل المواصفات الهندسية المتاحة يومذاك [64] .

وفي الجهة المقابلة لقاعة العرش، وعند الجانب الجنوبي لقاعة الحريم غرفة مربعة غريبة الشكل تشكل عرض هذه القاعة. وفي وسط هذه الغرفة المربعة حوض محاط بممشى طوله (21 متراً) لكل جانب من جوانبه الأربعة. وللغرفة مداخل واسعة على

المحاور. ولها أربعة أعمدة رخامية في كل ركن من أركان الحوض. وقد نقل الينا هيرزفيلد بأنَّ هذا الحوض كان أصلاً من الكرانيت الأصلي ومن صنع الفراعنة، وهو معروضٌ الآن في متحف القصر العباسي. وكانت جميع هذه الغرف مزينةً برسوم الأشخاص، وقد أعاد هرزفيلد تنظيم إحدى هذه الرسوم من البقايا التي عُثر عليها في الموقع [65] .

أما الرحبة الكبرى فكانت طولها 350 مترا وعرضها 180 مترا وتحيطها مساحات من الأزهار التي تعطي انطباعاً يوحي بالعظمة والجمال في آنٍ واحد . كما إنَّ هناك بركاً ونافورات مصنوعةٌ من الرخام كان وجودها يبعث على البهجة والسرور[66] .

والرحبة الكبرى كانت مقسمةً بواسطة قناة الى قسم غربي مرصوف، ويتزين بنافورتين، والى قسم شرقي غير مرصوف فيه أقنية مياه صغيرة [67] .

كما ويحتوي قصر الخليفة المعتصم على مجموعة من السراديب الكبيرة والصغيرة وملعب للصولجان ومخازن وثكنات وغير ذلك .

وهكذا بُنيت سامراء شرقيّ نهر دجلة، على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد، وتبعد عنها بستين ميلاً من الشمال، وتقع في مكانٍ طيّب الهواء، جيد التربة، يسهل منه الوصول الى بغداد براً وبحراً، وقد شيد بها المعتصم ما تمَّ تخطيطه لها، ومنها مسجداً جامعاً للمسلمين، وأفرد سوقاً لأرباب الحِرَفِ والصناعات، ونقل الى حاضرته الجديدة الأشجار والثمار، وغَرَسَ الحدائقَ والبساتين، وشيّدَ المتنزهات، وأقامَ المباني الشاهقة والقصور الفخمة التي قيل أنَّ عددها بلغ سبعة عشر قصراً [68] . لذا أصبحت سامراء مدينة عامرة زاهرة، حتى سُميت (سُرَّ مَنْ رأى) ووُصفَت((: إنها معشوقة السكنى، حبيبة المثوى، كوكبها يقظان، وجوها عريان، حصاها جوهر، ونسيمها معطر، يومها غداة، ونيلها سحر، طعامها هنيئ، وشرابها مريء، تاجرها مالك، وفقيرها فاتك))[69] .

سامراء بعد المعتصم :

بويع الواثق، أبو جعفر هاورن بن محمد المعتصم (227-232ه/842-847م) في نفس اليوم الذي توفي فيه والده الخليفة المعتصم [70] ، ويبدو أنَّ المدةَ التي تولّى فيها الخلافة تتسم بالهدوء إذا ما قيست بعهد المعتصم، ولم يضفْ لسُرَّ مَنْ رأى شيئاً كثيراً على ما موجود فيها من عمائر سوى القصر الهاروني، نسبة لاسمه، إذ لم يلبثْ الخليفة الواثق كثيراً بالجوسق الخاقاني، وهو قصر المعتصم، وإنما بنى قصراً جديداً له سمّاه الهاروني على نهر دجلة حيث جعل له دكة غربية ودكة شرقية [71] .

وحين استُخلف المتوكل على الله بعد وفاة أخيه الواثق اختار العيش في القصر الهاروني، وفضله عل جميع قصور المعتصم [72] ، وكان للمتوكل رغبة قوية في البناء والتشييد والعمارة، إذْ كان يُعدُّ من أكثر خلفاء بني العباس اهتماماً بالبناء والعمران في حقبة الخلافة العباسية في حاضرتها سامراء، واتصف عصره بتشييد عدد كبير من القصور والجوامع، فبنى الجامع الكبير وشيّد له مئذنة عالية أشبه باللولب (ملوية) يُنظر الى شموخها من بعيد، عند أول (الحير) في موضع واسع خارج المنازل ولا يتصل به

شيء من القطائع والأسواق، وقد أتقن الخليفة بناءه ووسّعه وأحكم تشييده [73] ، وترك الناس تدريجيا الصلاة في المسجد الذي بناه الخليفة المعتصم لضيقه، وأجرى المتوكل الماء من دجلة بقناتين تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء [74] .

ومن الأبنيه الجليلة التي أقامها المتوكل قصور العروس وبلكوار والصبيح واللؤلؤ والمختار[75] وغيرها، حتى ذكر اليعقوبي بأنْ ((لم يبنِ أحد من الخلفاء بسُر مَنْ رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل)) [76] 0

وقد كلّفت هذه الأبنية أموالاً طائلةً ما تقارب (294) درهم [77]، حتى أنَّ المسعودي يصف التكاليف الباهظة التي أُنفقت على أعمال المتوكل المعمارية فيقول ((وقد قيل أنه لم تكنْ النفقات في عصرٍ من العصور ولا وقتٍ من الأوقات مثلها في أيام المتوكل))[78].

عاش الخليفة المتوكل في بداية خلافته في القصر الهاروني، كما تمَّ ذكره آنفاً، ولكنه في سنة 245ه/859م رغب في ترك سامراء والبحث عن مكانٍ آخر يبني عليه مدينةً له يسميها على اسمه تخليداً لذكراه، ولم تشرْ لنا المصادر التاريخية في الدوافع التي دعته الى اتخاذ هذا القرار، وبهذا اختار موضعاً شمالي سامراء يُقال له (الماحوزة) شيّد عليه مدينته الجديدة وأسماها المتوكلية أو الجعفرية [79]، وقد تمَّ له بناءها خلال سنة واحدة ، وأُقيمت الأسواق في موضعٍ منعزلٍ عنها وجعل في كل مربعة سوقاً [80] .

وفي الأول من شهر محرم لعام (247ه/861م) انتقل الخليفة المتوكل الى مدينته الجديدة (المتوكلية)، وعندما جلس في مجلسه وزع الأُعطيات والمكافآت السنية الى كل من أسهم في تشييدها تعبيراً منه على فرحه في بنائها والانتقال اليها [81] ، ثمَّ ما لبثت أنْ انتقلت اليها دواوين الدولة المختلفة مثل ديوان الخراج وديوان الضياع وديوان الزمام وديوان الجند وديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع دوائر الدولة الأخرى [82] ، وأقام المتوكل نازلاً في قصره بالجعفرية، ولكنه لم يتمتع بمدينته الجديدة كثيراً، إذْ بعد تسعة أشهر وثلاثة أيام من إقامته فيها تعرض لحادثة قتله بقصره الجعفري في مؤامرةٍ، تناقلتها المصادر التاريخية، دُبرت له [83] ، وقُتل وزيره وساعده الأيمن (الفتح بن خاقان) من بعده بمدةٍ وجيزة [84] ، وبهذا رجعت الحياة الى سامراء مرة أخرى فأصبحت مقراً للخلافة العباسية ثانيةً للمدة من (247-279ه/861-892م) ، حكم خلالها خمسة خلفاء وهم على التوالي :

1- المنتصر (247-248ه/861-862م) 0
2- المستعين (248-252ه/862-866م)0
3- المعتز (252-255ه/866-869م)0
4- المهتدي (255-256ه/869-870)0
5- المعتمد (256-279ه/870-892م)0

ومن المناسب ذكره في هذا المجال بأنْ لم تشهد سامراء أبان الحقبة التاريخية آنفة الذكر أية إضافة عليها تُذكر في البناء والتشييد والعمران، ولكنها شهدت زيادة في نفوذ الأتراك إذْ بلغ سلطانهم ذروته خلالها فلم يكنْ أحد يستطيع الاجتراء على معارضتهم،

ففسدت أحوال سامراء في تلك الحقبة التاريخية حتى تركها الخليفة المعتضد بالله (279-289ه/892-902م) ليعودَ ويتخذَ بغداد مقراً له لستة أشهرٍ قبل وفاته سنة [85] .

وخلاصة القول بأنْ استمرت (سُرَّ من رأى) كل يوم في صلاح وزيادة وعمارة حتى صارت أعظم بلاد الله تعالى، وجنّة الأرض وقرار المُلك منذ أيام المعتصم والواثق إلى أيام الخليفة المعتضد بالله، إذْ عاشت أكثر من ستين عاماً وهي محتفظة برونقها وبهائها منذ بنائها سنة (221ه/836م) الى نهاية عصر الخليفة المعتضد بالله إذ انتابها الخراب والدمار والإهمال الكامل، بعد أن تقوّضت معالمها عام (289ه) [86] ، حتى أنَّ الناظر اليها يستوحش منها ((بعد أن لم يكنْ في الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم، ولا آنس ولا أوسع مكاناً منها فسبحانَ مَنْ لا يحول ولا يزول)) [87] ، ومنذ ذلك الحين أُطلق عليها (ساء مَنْ رأى)، ثم أُختُصِرَ فقيل ((سامرا)) يقول الشاعر ابن المعتز[88]:

((قد أقفرت سُرَّ مَنْ رآ وما لشيئ دوام
فالنقص يحمل منها كأنها آجام
ماتت كما مات فيلٌ تسل منه العظام))

واليوم مدينة سامراء الحديثة على الضفة اليسرى لنهر دجلة وعلى بعد (130) كم إلى الشمال من مدينة بغداد، ولقد شّيدت مدينة سامراء الحديثة فوق آثار العاصمة العباسية (سُرَّ من رأى)، موضوعة هذه الدراسة ((التي تمتد أطلالها مع الضفة العليا لوادي نهر دجلة من الفرع الثاني للنهروان عند القائم في الجنوب حتى فرعه الثاني في الشمال وبذلك يبلغ أطلالها نحو أربعة وثلاثين كيلو متر، وتقع ثمانية منها جنوب المدينة الحالية و (26) كيلو متر في شمالها)) [89] .

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الجميلة في الدراسة والتقصي عن حاضرة بني العباس الجديدة سُرَّ مَنْ رأى أو سامراء ، والطواف بين شوارعها وأزقتها وأسواقها ومحالّها نصل الى النتائج الآتية :

1- كان الهدف الأساس من بناء سامراء هو عسكريٌّ بحت، فقد ترك الأتراك معاملتهم الناس بقسوة جفوةً بينهم وبين أهل بغداد، مدينةُ السلام، عاصمة المنصور المدورة، مما جعل الخليفة المعتصم يفكر بإبعاد جيشه الى مدينةٍ بعيدةٍ خوفاً من ثورة عامة الناس عليه في (بغداد) فاختار سامراء، حصناً منيعاً لجيشه 0

2- إنَّ شخصية الخليفة المعتصم بالله من الشخصيات التي انمازت بحسن التخطيط في إنشاء المدن، وشاهد ذلك تخطيطه لمدينة سامراء، ممّا يدلُّ على حكمته وسعيه في إدامة الحياة العمرانية والتواصل الحضاري 0

3- إنَّ المعتصم من القادة الذين يتسمون بحسن التدبير ، فما أنْ أحسَّ بخطورة الأتراك وازدياد أعدادهم ومعاملتهم السيئة لسكان بغداد حتى باشر بالتفكير في

إبعاد هؤلاء عن بغداد، حرصاً منه على تنظيم الحياة الاجتماعية، ولهذا فكر في بناء مدينة تحويهم بعيداً عن الاحتكاك بسكان بغداد وغيرهم أمثال الحربية من الفرس المتنفّذين، ممّا أسهم في الحفاظ على لحمة المجتمع ومكوناته المتعددة 0

4- عكس هذا البحث قدرة الخليفة المعتصم في التفكير الصحيح وهو يتخّير موضع حاضرته الجديدة اختياراً، فكان يتنقل بين المواضع والأماكن العراقية المختلفة، من موضع الى آخر حتى استقر على موضع يتسم فيه المواصفات العسكرية والجغرافيةً والصحية والتجارية الملائمة 0

5- أفصح البحث عناية خلفاء بني العباس الأوائل في تخطيط المدن وتوزيع الإقطاعات، ومنها بناء سامراء، بدءً من مؤسسها المعتصم ومَنْ تعاقَبَ بعده من الخلفاء، فاهتموا بالمواصفات الدقيقة في إنشاء الشوارع والأزقة بشكلٍ لا يسيئ الى أية شريحة من طبقات المجتمع العباسي المتنوعة، مع الاهتمام بتزويق المدينة ومتنزهاتها وحسْن الزخرفة والعمارة وبهائها، حتى أضحت سامراء تحكي جماليات النمط الإسلامي في تشييد المدن وبناء الأمصار 0

6- أصبحت سامراء مثالاً يُحتذى بها في تأسيس المدن والحواضر الجديدة، فقد جمعت في بوتقة مواصفاتها جميع مزايا حواضر بني العباس السابقة، جمعاً دقيقاً يُفصحُ ما وصل اليه مهندسو ذلك العصر من حذقٍ وتطورٍ، وقد مثّل ذلك أصالةً في التخطيطِ والبناءِ والعمارة 0

7- يثبت هذا البحث حقيقة أنَّ أرض العراق وما حباه الله تعالى من نِعَمٍ وخيراتٍ يصلح في أكثر بقاعه أنْ تغدو حاضرة أو مركزاً لبناء المدن وتمركز الحضارة، وهذا ما سعى البحث لتثبيته كنتيجةٍ تؤشرُ من بعيدٍ عمق حضارات وادي الرافدَيْن .

الهوامش

1- سوسة، أحمد، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1368ه/1949م) ، ج1، ص52-54).

2- ياقوت، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، د.ت) ، 3/173-174؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية (نشأتها وتطورها)، (بيروت، دار العلم للملايين، 1988م) ، ص248

3- ياقوت، ج3، ص174؛ العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الإسلامية، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1406هـ/ 1986م)، ص495؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1369هـ/ 1969م)، ج2، ص382 .

4- ابن مسكويه، تجارب الأمم، أبو علي أحمد بن محمد (ت421هـ/1030م)، تجارب الأمم، تحقيق: ه. ف. آمدروز، مطبعة التمدن الصناعية (القاهرة ، 1332ه/ 1914م) ، 5/212؛ ياقوت الحموي، ج2، ص27 .

5- ابن مسكويه، تجارب، ج5، ص210

6- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي البغدادي (ت346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1384هـ/ **1964م**، ج4، ص9 .

7- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1 (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1429هـ/ 2008م). ، ج7، ص88 عن حركة اسحاق الترك، ص495عن حركة سنباذ، ج8، ص29 عن حركة إستاذسيس، وغيرها .

8- **ابن الأثير**، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، مراجعة: د. سمير شمس، ط1، (بيروت، دار صادر، 1429هـ/2009م)، ج6، ص319؛ المسعودي، ج7، ص121 .

9- ما وراء النهر : وتعرف أيضاً باسم هيطل، وهي الأراضي الواقعة شرقي نهر جيحون التاريخي ، من أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وفقهاً وعمارةً ورغبةً في العلم واستقامةً في الدين وأشد بأساً... وهو يتألف من ستة كور، فرغانة واسبيجاب والشاش وأشروسنة والصغد وبخارى. (ينظر: البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م) ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص442

10- ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي التونسي (ت808هـ/ 1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، اعتنى به: عادل بن سعد، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية 1431هـ/ 2010م) ، ص1185 .

11-اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت 292هـ/ 905م)، البلدان، (بريل، طبعة ليدن، 1308هـ/ 1891م) ، ص29

12-تاريخ الطبري، ج9، ص167؛ وينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص297؛ اليعقوبي، البلدان، ص 30

13-المسعودي، مروج، ج4، ص9

14- تاريخ الطبري، ج9، ص168؛ وينظر: ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/ 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والأمم الإسلامية، (بيروت، دار صادر، د.ت. ص231؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت911هـ/ 1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد نصر الله أبي جبيل، ط1 (القاهرة، مكتبة نصر، 1428هـ/ 2008م)، ص314 .

15- ينظر: بلدان اليعقوبي، ص32؛ المسعودي، مروج، ج7، ص121؛ الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، (بغداد، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات رقم (295)، 1402هـ/ 1982م)، ص146

16- الموسوي، تطور المدن، 1982م؛ ابن العميد، تخطيط المدن، 1986م، 424 .

17- مجهول، أخبار العباس وولده، تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر 1971م)، ص204-205 .

18- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي (ت774هـ/ 1373م)، البداية والنهاية ، طبعة جديدة ومنقحة (بيروت، مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، 1430هـ/ 2009م)، ج3، ص 2125 .

19- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص174 .

20- بلدان اليعقوبي ، ص31؛ ابن الفقيه، البلدان، 2009م، ص316،216؛ ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي التونسي (ت808هـ/ 1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، اعتنى به: عادل بن سعد، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية 1431هـ/ 2010م)، ص1185 ؛ الخضري بك، الدولة العباسية، مراجعة: محمد ضناوي، ط2 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2004م) ، ص227 0

21- المسعودي، مروج، ج7، ص129؛ الموسوي، عوامل تطور المدن، ص147 .

22- بلدان اليعقوبي ، ص32؛ حسن، تاريخ ، ج2، ص.381

23- بلدان اليعقوبي، ص30؛ ابن خلدون، تاريخ، 2010م، ج3، ص255؛ مجهول، أخبار العباس، 1971م، ص204-205؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص380 .

24- بلدان اليعقوبي ، ص32 .

25- ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ط2 (بيروت، دار صادر، 1431هـ/ 2010م). ، ج2، ص164؛ البلدان ، ص56-57

26- مروج الذهب، ج7، ص121؛ وينظر: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص473؛ الخضري بك، ص226-227 .

27- ياقوت الحموي، معجم، ج3، ص174

28- اليعقوبي، البلدان، ص58؛ الموسوي، تطور المدن، ص147 .

29- ينظر: العميد، ص446؛ الموسوي، ص147 .

30- بلدان اليعقوبي، ص25

31- المصدر نفسه

32- المصدر نفسه

33- ينظر: البلاذري،ج1، ص285؛ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت289هـ/ 902م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط2 (بيروت، عالم الكتب، 1430هـ/ 2009م) ، ص316 .

34- بلدان اليعقوبي ، ص25 .

35- الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي) ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، 1988م) ، ص202 .

36- للتوسع: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص473؛ ياقوت، معجم، ج3، ص175،174، 176، 177؛ ابن الأثير، ج6، ص210؛ ابن الطقطقا، ص231 .
37- البلدان، ص59-64؛ وللتوسع: العميد ص451 وما بعدها .
38- اسحاق بن ابراهيم بن سلمة الضبي مولاهم، أبوه أحد دعاة الثورة العباسية، و، كان إسحاق كبير المنزلة عند الخليفتين المأمون والمعتصم . للتوسع: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1071م)، تاريخ بغداد أبو مدينة السلام (القاهرة، مطبعة السعادة، 1349هـ/ 1931م) ، ج10، ص260-261 ترجمة رقم 5376) .
39- بختيشيوع بن جبريل المتطبب **:** هو ابن جبريل بن بختيشيوع، كان سريانيّاً نبيل القدر، وكان يضاهي الخليفة المتوكل في اللباس والفرش، وكان عظيم المنزلة عنده، ثم إنه أفرط في إدلاله عليه فنكبه، وكان موته سنة (256هـ) 0 يُنظر: ابن أبي أصيبعة، أحمد بن محمد بن القاسم (ت668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة (بيروت، د.ت)، ج1، ص138-144 .
40- الشاكرية: مفردها شاكريّ: وهو الأجير والمستخدَم، لفظة فارسية الأصل 0ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، مادة: شكر).
41- الأُبُلَّة: مرفأ في جنوب البصرة، على بُعد أربعة فراسخ منها، وهي أقدم من البصرة، فيها مسالح من قِبَل كسرى، كانت تُسمى أيضاً بأرض الهند لقربها من بلاد، إذ لا يفصل بينهما إلّا بحر العرب، وكانت بين الطرفين علاقات تجارية وثقافية منذ زمنٍ بعيد0 ينظر: ياقوت، 77/1، 183/3 .
42- بلدان اليعقوبي، ص63
43- المسعودي، مروج، ج4 ، ص9
44- بلدان اليعقوبي، ص64-65
45- للتوسع : بلدان اليعقوبي، ص66-68
46- بلدان اليعقوبي، ص67؛ ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص174
47- بلدان اليعقوبي، ص61؛ العميد، تخطيط، ص455-456
48- ينظر: العميد، ص455 نقلاً عن(Ahmed, The Role of the Turks in Iraq during the Caliphate of Mutasim P.67
49- بلدان اليعقوبي، ص60-61؛ العميد، تخطيط، ص456
50- إحدى قرى سامراء، من المحتمل أن يكون مكان المطيرة في الموضع الحالي المعروف باسم (سور الجبرتي) بدليل بأن لا يوجد بناء أعمر منه في هذه المنطقة، وهي تقع على مسافة فرسخين (عشرة كيلو مترات) الى جنوب سامراء (بلدان اليعقوبي، ص265؛ الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت388هـ/998م)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط2، مطبعة المعارف (بغداد، 1386هـ/1966م)، ص 69 . والظاهر انَّ منطقة المطيرة كانت تتمتع بميزات تجعلها طيبة السكن، أشبه أرض الله تعالى بالجنان من لطافة الجو وطيب التربة وكثرة الرياحين 0 يُنظر: بلدان اليعقوبي، ص 60؛ القزويني، آثار البلاد ،1960م، ص 461؛ العميد، تخطيط المدن العربية الإسلامية، ص444.
51- للتوسع: ياقوت، معجم، ج3، ص173-17
52- بلدان اليعقوبي، ص66؛ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص164
53- تاريخ اليعقوبي، ج2، ص164؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص357
54 - **Fouilles, a Samarra en Mesopotamie, Leiden publication, London, 1911'' p.17**
55- العميد ،تخطيط ، ص 457
56- المرجع نفسه، 457
57- مديرية الآثار العراقية، سامراء ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، د.ت.)، ص51 وما بعدها .
58- المرجع السابق ، ص53 .
-59 Herzfeld, E--Samarra Aufnahment und Unt ersuchungen Zur islamischen Archaologie "Berlin,1907"p. 217
60- المرجع السابق ، ص218
61- العميد ، تخطيط ، ص461
62- هرزفيلد ، ص201
63- العميد ، تخطيط ص463
64- المرجع نفسه ، ص 464
65- ينظر: المرجع نفسه ، ص464
66- المرجع نفسه ، ص 464-465
67- هرزفيلد ، ص 202
68- ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 174 (فصل سامراء) .
69- المصدر السابق ، ج 3، ص 174 (فصل سامراء) .
70- تاريخ اليعقوبي ، ج2، ص 168؛ تاريخ الطبري، ج9، ص 133 .
71- تاريخ اليعقوبي، ج2، ص171 وما بعدها .
72- بلدان اليعقوبي، ص 65
73- المصدر السابق، ص 66-67

74- للتوسع: تاريخ الطبري، ج9، ص 176
75- بلدان اليعقوبي، ص 66
76- المصدر السابق، ص 67
77- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 18
78- مروج الذهب، ج7، ص 2768
79- للتوسع: البلاذري، فتوح البلدان، ص460
80- بلدان اليعقوبي، ص68
81- المصدر السابق ، ص 68
82- المصدر نفسه ، ص68
83- تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 172
84- بلدان اليعقوبي، 68 ؛ ابن الأثير، الكامل ، ج5، ص 280 وما بعدها .
85- ينظر: شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ والحضارة، مطبعة المعارف (القاهرة، 1394هـ/ 1974م) ، ج3، ص 195
86- للتوسع: البلاذري، فتوح، ج1، ص 285؛ ابن الفقيه، البلدان، ص316؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص231؛ تاريخ ابن خلدون، ج3، ص 255
87- ياقوت، معجم، ج3، ص 174 (فصل سامراء)؛ ابن الأثير، الكامل ، ج6، ص 216
88- ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن الخليفة المتوكل بالله (ت255هـ/ 869م) ، ديوان شعر ابن المعتز، صنعة: أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: الدكتور يونس أحمد السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1398هـ/1978م) ،ص367 قافية الميم .
89- ينظر: العميد، تخطيط، ص430؛ الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص 147

جامع سامراء الكبير

بركة السباع في قصر الخليفة المتوكل